

قراءة في الأدب الفلسفي (ميخائيل نعيمة نموذجاً)

Reading in philosophical literature

(Mikhail Noaima as a model)

جلال مصطفىاوي

معهد الاداب واللغات ، جامعة عين تموشنت

تاريخ النشر: 2020/02/30

تاريخ القبول: 2020/11/01

تاريخ الاستلام: 2020/10/12

الملخص:

الأدب الفلسفي هو ذلك الأدب المتشيع بهموم الفلسفة و تساؤلها الذي يبقى مع ذلك أو ربما لذلك ، أدبا جميلا مؤثرا أو متميزا و لعل المثال الأبرز على هذا النوع من الكتابات رواية "اليوم الأخير" (1965) لميخائيل نعيمة (1889-1988م) التي تنطوي على وهج أدبي مثلما تنطوي على عمق فلسفي ، بل انتسابها الفلسفي أحق من انتسابها الأدبي ، لما فيها من قضايا ذات بعد فلسفي .ففي الأدب الفلسفي ، لا يمارس الكاتب الفلسفة لكنه يبدي على وجه الدقة ، وعيا فلسفيا ويمارس فعلا فلسفيا ، أو وعيا للوعي ومن الواضح أن تمازج الأدب و الفلسفة ، يصوغه انتماؤهما إلى النتاج الفكري الإنساني...وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نسائل حدود العلاقة القائمة بين الرواية باعتبارها جنسا أدبيا جماليا تخييليا، والفلسفة باعتبارها سؤالاً مستمرا ومنطقيا عن علاقتنا بذاتنا وبوجودنا وبالله عزوجل. هل من الممكن أن يتضمن الإبداع الأدبي رؤى وأبعادا فلسفية؟ وفيم تتمثل الأبعاد الفلسفية في أدب ميخائيل نعيمة عامة(فلسفة الخلاص)؟ وفيم تتمثل القضايا الفلسفية التي تطرحها رواية (اليوم الأخير) على وجه الخصوص؟

الكلمات المفتاحية:الأدب-الرواية-الفلسفة-الأدب الفلسفي-فلسفة الخلاص-الموت-

Abstract : Philosophical literature is the central region combining philosophical contents and imaginary expressions of poetry or prose - the integration of literature and philosophy is a tangible phenomenon in the context of what has been accomplished from the philosophical reality (Maari, Goethe, Gibran, Sartre, Kafka, Noaima and others) As a sign that they are two sides of the same coin, no matter how different the horizon between them, they are in communication and integration, description, diagnosis, and criticism of what is humane cultural on an imagined level by employing the beauty of the place and feelings and emotions, philosophical literature is that literature saturated with the concerns of philosophy Perhaps the most prominent example of this type of writings novel "The Last Day" (1965) by Michael Noaima (1889-1988), which contains a literary glow as it involves a philosophical depth, but its philosophical affiliation is more worthy of its literary one, n philosophical literature, the writer does not practice philosophy, but he exhibits precisely, a philosophical consciousness and practice a philosophical act, or consciousness of consciousness. Through this study we ask the limits of the relationship between the novel as a genuinely aesthetic and imaginative genre, and philosophy as a continuous and logical question about our relationship with ourselves and our existence and God Almighty. Is it possible for literary creativity to include philosophical perspectives What is the philosophical dimension of the literature of Mikhail Noaima (philosophy of salvation), and the philosophical issues raised in the novel (the last day) in particular?

Keywords: literature – novel- philosophy - philosophical literature- philosophy of salvation- death.

• جلال مصطفاوي، أستاذ محاضر "أ"، zourba1976@live.fr, مخبر البحث المصطلحية

مقدمة:

يعدّ ميخائيل نعيمة من أوائل الأدباء العرب المحدثين الذين إطلعوا على الثقافة الغربية و على وجه الخصوص الأدب الروسي و الأمريكي، بحيث أدى هذا الأمر إلى تميز نتاجه الأدبي الذي إتسم ببعده عن أي تعصب مذهبي و ديني و هذا ما نلمسه و نلاحظه جليا في مؤلفاته و ميراثه الأدبي المتنوع و الذي شمل الأعمال القصصية، والروايات، المسرحيات والمؤلفات الشعرية و القصائد و المقالات و الدراسات.

فلا شيء يولد خارج التاريخ بل هو أبدا في سياق حركة، نمو، تداخل، تكامل و فرز مستمر، فإنه لاشيء يولد فجأة، دفعة واحدة منتهيا، جاهزا، و أخيرا ليس بعده دراسات أخرى و قد يكون هذا الأخير بداية لإبداع آخر و إنتاج أدبي يضفي الجدية على الذي سبقه. "و الحل دائما إستكمال، و النظرية إستمرار و تعميق و إثراء ، في كافة المجالات و المستويات و الميادين، في العلم و الفلسفة و الأدب و غيرها . فهذا القول لا ينقص من قيمة الإبداع بل يضعه في الإطار و الشكل الصحيح وهو موقع ميخائيل نعيمة بالذات.

و يمكننا إيجاز فلسفة نعيمة في أصناف عدة مترابطة تعكس تأثره بأفكار الأدباء الروس و الفلسفة الثيوصوفية و علمانية فلاسفة عصر التنوير، "إن المعروف أن ميخائيل نعيمة قضى فترة حياته يدرس اللاهوت في روسيا. في هذه الفترة كانت خصبة في تكوين فكر نعيمة، فقد كانت روسيا تغلي بشدة في بداية هذا القرن ، بفعل

تناقض المصالح و المواقف و الإتجاهات. فالشعب في غليان ضد السلطتين السياسية و الدينية ذلك أن السلطة كانت للكنيسة هي الحاكمة في تلك الفترة وأصبح المجتمع مقسم إلى طبقات و تجردت المسيحية من المسيح.

و بهذا التحول و الأوضاع السائدة تأثر ميخائيل نعيمة، بشكل غير شعوري بمعنى دون أن يعي ذلك وبطريقة غير مباشرة و قد أدى هذا التأثير إلى تطوير فكر ميخائيل نعيمة و يبرز ذلك في تصريح بقوله : " ذلك ...هو الثوب الذي فصلته الكنيسة لروحي ...و لكن من بعد أن عدت من روسيا...أخذت أشعر أن الثوب يضيق بي، ذلك الثوب فكر ميخائيل نعيمة القديم قد تلاشى ليصبح فكرا أرحب وأوسع و أشمل من ذلك الذي إكتسبه و يتضح هذا بعد عودته من روسيا كما ذكر آنفا في قوله و هذا بمثابة نضج و إنفتاح لفكر ميخائيل نعيمة المغاير.

و الأدب الفلسفي هو المنطقة الوسطى الجامعة بين مضامين فلسفية وأشكال تعبيرية تخيلية شعرا أو نثرا. إن التكامل بين الأدب و الفلسفة يعد ظاهرة ملموسة في سياق ما هو منجز من الواقع الفلسفي ، بوصفه علامة دالة على أنهما وجهان لعملة واحدة مهما تباين الأفق بينهما الا أنهما في تواصل و تكامل، وصفا، و تشخيصا، و نقدا . لما هو إنساني ثقافي على صعيد متخيل بتوظيفه لجمالية المكان و المشاعر

والعواطف . فالأدب الفلسفي هو ذلك الأدب المتشعب بهوموم الفلسفة وتساؤلاتها ، الذي يبقى مع ذلك أو ربما لذلك ، أدبا جميلا مؤثرا أو متميزا و لعل المثال الأبرز على هذا النوع من الكتابات رواية "اليوم الأخير" لميخائيل نعيمة التي تنطوي على وهج أدبي مثلما تنطوي على عمق فلسفي ، بل انتسابها الفلسفي أحق من انتسابها الأدبي ، لما فيها من قضايا ذات بعد فلسفي ورؤى فلسفة و هذا ما سنعالجه في بحثنا الموسم بعنوان " البعد الفلسفي في أدب ميخائيل نعيمة " رواية اليوم الأخير نموذجاً " ، ففي الأدب الفلسفي ، لا يمارس الكاتب الفلسفة لكنّه يبدي على وجه الدقة ، وعيا فلسفيا ويمارس فعلا فلسفيا ، أو وعيا للوعي فمن الواضح أن تمازج الأدب و الفلسفة ، يصوغه انتماؤهما إلى النتاج الفكري الإنساني...وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نجيب عن التساؤل الإشكالي الجوهري التالي:

هل من الممكن أن يتضمن الإبداع الأدبي رؤى و أبعادا فلسفية؟وفيم تتمثل الأبعاد الفلسفية في أدب ميخائيل نعيمة عامة؟وفي رواية (اليوم الأخير) على وجه الخصوص؟

و تنحلّ هذه الإشكالية إلى مجموعة من التساؤلات:

ما مفهوم الأدب الفلسفي ؟

وما طبيعة العلاقة بين الفلسفة و الأدب ؟

ما المقصود بفكرة "الخلاص" في فلسفة ميخائيل نعيمة ؟

ثم ما هي أهم القضايا ذات البعد التأملي التي عالجها (ميخائيل نعيمة) في روايته اليوم الأخير؟

1-العلاقة بين الفلسفة والأدب:

الأدب الفلسفي يقوم على التركيب الجدلي البالغ العمق و الدلالة بين البعد الفلسفي و الطابع الجمالي فالكاتب لا يمارس الفلسفة لكن يبدي على وجه الدقة وعيا فلسفيا و يمارس فعلا فلسفيا أو وعيا للوعي.

لقد تضاربت آراء الباحثين حول علاقة الفلسفة بالأدب و حول التداخل و التفاعل بينهما "فأنكر فريق هذا التداخل و هذا التفاعل ورأى ان ثمة فرقا كبيرا بين الإنتاج الفلسفي و الإنتاج الأدبي على اعتبار أن الأدب محكوم بالفنية والصياغة الجمالية و الفلسفة محكومة بالغلبة العقلية . و النظرة الشاملة لمختلف نواحي الحياة و الوجود."^(*)

ورأى فريق آخر أن الفلسفة و الأدب هما شكلان متجاوران من أشكال الإنتاج الفكري و الإبداع العقلي يترابطان ترابط جوانب مختلفة لإنسان واحد و أنماط مختلفة في حضارة واحدة او أقل ترابط صيغ و أشكال متنوعة لقضية واحدة محورها الإنسان و جوده و كينونته.

ولابد لنا عند البحث عن قضية التداخل بين الفلسفة و الأدب من ان نلجأ الى ما وراءه بعض مؤرخي الفلسفة أن السوفاطيين كانوا يستشهدون بأشعار هوميروس .

و بعض اقواله فيما يؤيد مذهبهم في قضية التغير الدائم للأشياء ، و فيما قالوه من أن "أنكسمندريس"^(*) صاغ الكثير من أفكاره الفلسفية في عبارات شبه شعرية و في أن "برمنديس"^(*) نظم قصيدة طويلة أودعها خلاصة تفكيره الميتافيزيقي^(**)

ذكر أيضا أن "أرسطو" عند مقارنة مطولة بين الشعر و الفلسفة و التاريخ قال: " أن الشعر أكثر نزوعا فلسفيا و أكثر خطورة من التاريخ و انه يتعامل بالكليات بينما يتعامل التاريخ مع الخصوصيات وأن الشعر لا يهتم بما حدث ، وانما بما يمكن أن يحدث و انه يفضل الاحتمالات غير الممكنة على الممكنات غير المحتملة"⁽¹⁾.

إذا فالعلاقة بين الفلسفة و الأدب هي علاقة قديمة و متواصلة لا يمكن الفصل فيها بين الإنتاج الفلسفي و الإنتاج الأدبي بأي شكل من الأشكال و يؤكد ذلك " جان فان " الذي يقول: " انه لا يوجد في حقيقة الأمر فوق جوهري بين الفلسفة و الشعر وفي أحيان كثيرة كان من بين الفلاسفة شعراء موهوبون كأفلاطون و سارتر"⁽²⁾

بيد أن الفلسفة و الأدب رغم تعبيرهما المشترك عن الوجود، فإنهما ليسا شيئا واحدا و طريقة تعبيرهما عن هذا الوجود ليست واحدة، و لهذا لا يجوز أن يفنى الشعر في الفلسفة، ويستحيل إلى صور ذهنية قليلة الجدوى، كما لا يجوز أن تندمج الفلسفة بالشعر فيخفف وقارها، و تحور إلى خيالات لا طائل تحتمها، و لهذا كان من الأفضل أن يعمل كل منهما في دائرته و يتحرك في مجاله، لكن دون أن يعني ذلك عدم قابلية كل منهما للتفاؤل، و الاقتباس، و التجاور مع الآخر⁽³⁾.

إن اللوحات التي يقدمها الأدب، تتحول إلى مصدر رئيسي لتأسيس فلسفي أو لنظرية فلسفية. وهي المادة الخام و طابع الفلسفة الحيائي بل ويمكن الدخول إلى عالم فلسفة ما، من خلال أدها إذا ما توفر ذلك: فإن الأدب الوجودي المتسبل بخطوط الدوران و التمزق و الغثيان و الخوف و اللاحقيقة، و الغربة الدائمة، هو في الحقيقة خلفية الوجودية والانتماء كفلسفة⁽⁴⁾.

^(*) شاعر ملحمي يوناني نسب اليه مؤلف اليونان (الليادة) و (الأودسية) و (الأغاني الموسيرة)

^(**) فيلسوف يوناني علم أن مبدأ الأشياء في جوهر أزلي هو اللانهاية و قالوا أنه أول من رسم الخرائط الجغرافية القرن 6 ق م.

^(***) قرن 5 ق م فيلسوف يوناني له قصيدة (في الطبيعة) قال فيها لتوحيد العرلف و عدم التغير و أزلية كل شيء.

(1) أرسطو - فن الشعر ، ثر شكري عياد . ط 1 . مج 1 . 1967 . دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، ص 140.

(2) جوزيف بوخذ سكي ، مدخل إلى الفكر الفلسفي، تر: و تح: محمود حمدي زقروف، دار الفكر العربي الظاهرة، 1996 ، ص 18، 19.

(3) عليان احمد محمد جدلية العلاقة بين الفلسفة و الأدب المنهل اللبناني، 2000 ، د.ط. ص 56.

(4) محمد شفيق شيا، في الأدب الفلسفي، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط 1، 2009، ص 111

إن الوجودية كأدب هي قبل الوجودية كفلسفة ، و اللإنتماء كواقع و كأدب، سابق على اللإنتماء كفلسفة ، وقس ذلك ، هي أولاً لأنها الواقع و الحياة و المضمون.

إن كل مشروع فلسفي في السنين الخمسين الأخيرة مثلا، ملزم أن يأخذ اللوحات الأدبية بعين الاعتبار خصوصا في الرواية و المسرح، فالأدب هو أحد الأشكال التعبيرية عن الأفكار الفلسفية، هو الأداة البالغة القوة والدلالة، ولوعدنا إلى مراجعة تاريخ الفكر و تاريخ الكتابة الفلسفية بالذات لوجدنا أن الفكر الفلسفي قد لجأ إلى أكثر من شكل أدبي و هي تتراوح ما بين الشعر و النثر، كما تتراوح ما بين القصة و المسرحية و الرواية ، و أشكالاً ترتبط بأشكال الفلسفات المختلفة⁽⁵⁾

- الرواية والفلسفة:

بالرغم من أن الرواية عمل فني مميز يقتضي الإنسجام و التماسك و المحافظة على الوحدة الفنية ، إلا أنها تعتبر أسلوباً من أساليب الأداء الفكري وشكلاً ناجحاً من أشكال إيصال الأشكال الأفكار إلى الناس ، والروائي الذكي الناجح هو الذي يوصل إلينا عبر روايته فكره ، واضحا و كاملاً من غير أن يخل بالشروط الفنية للرواية ، ولا بطلت أن تكون رواية أو أدبا فلسفيا .

و نحن لا نشك بأن الرواية قد قدمت في شكلها العام نقله نوعية متطورة للفكر الفلسفي ، و هذا ما يفسر لجوء العديد من الفلاسفة و الأدباء إلى الأنواع الروائية للتعبير عن أفكارهم الفلسفية ، و من ذلك مثلا رسائل إبن سينا القصصية و الرواية المسماة بـ "رسالة الغفران" للمعري ، و قصة "حي بن يقظان" لإبن طفيل " و تعتبر هذه الرواية الأخيرة من أكثر المحاولات الروائية نجاحاً في العصر الوسيط بسبب ما كان يتوفر فيها من شروط الصياغة الفنية و السرد القصصي خصيصاً للرواية⁽⁶⁾ .

و في عصرنا الحديث نجد بعض هذه المواقف الفكرية و الفلسفية في أعمال الكثير من الروائيين العرب أمثال: نجيب محفوظ و مصطفى محمود ، و جبران خليل جبران ، و سهيل إدريس ، وأميين الريحاني .

كما يبدو هذا الموقف أكثر وضوحاً و أكثر إشراقاً في مؤلفات جبران خليل جبران و ميخائيل نعيمة و إيليا أبو ماضي و غيرهم ، و أما أبلغ من يمثل الأفكار الفلسفية عن طريق الرواية الحديثة في الغرب فهو الفيلسوف الوجودي " جان بول سارتر" الذي تعتبر روايته "الغثيان" من أوسع الروايات إنتشاراً و من أكثرها كثافة فلسفية و هي بالتالي تعبر عن الموقف الوجودي الذي إستحوذ على كامل كتاباته و على الأخص روايته الضخمة "دروب الحرية" التي أنضجت موقف الوجودي الذي وضع أسسه الأولية في رواية الغثيان، و هذا الموقف الفلسفي الذي نراه كاملاً في عدد من روايات سارتر نراه كذلك في روايات العديد

⁽⁵⁾ المرجع نفسه، ص 112

⁽⁶⁾ همام القباني، الأدب و الفلسفة و أشغالها الفنية 2013/05/11. www.m.ahe-war.org

من أدباء الغرب ، فهو يكاد يكون كاملاً في روايات ألبير كامو و ديستو فسكي و تولستوي و تشيكوف غوركي و همنغواي و بكت وويلز و لورنس و إبسن، و بلزاك و ستندال و كانكا و سواهم .

فهؤلاء كانوا روائيين فلاسفة و إن كانت فلسفتهم قد بقيت مطوية خلال مجموعة من المواقف البشرية التي عاشتها شخصياتهم الروائية الخالدة⁽⁷⁾

إلا أنهم أبدعوا في كتابتهم الروائية و استطاعوا أن يجسدوا بحق الأب الفلسفي في روايتهم ذات البعد الفلسفي.

فلسفة نعيمة من خلال أدبه:

إن المسائل التي عالجها ميخائيل نعيمة في مجمل كتاباته و إبداعاته ("يا ابن آدم" ، "زاد المعاد" ، "في مهب الريح" ، "مرداد" ، "أيوب" ، "من وحي المسيح" "اليوم الأخير" : تتلخص في: حقيقة الطبيعية والوجود و علاقتهما .

❖ حقيقة المادة ودورها و نسبتها.

❖ الروح أو الفكر أو الوعي كحقيقة للوجود و ماهيته

❖ الإنسان في تعامله مع الوجود

❖ حركة الكون الصاعدة نتيجة علاقة الإنسان مع الوجود

❖ و بنتيجة تطور هذه العلاقة، بين الإنسان و الوجود، تتألف سمات إنسان جديد إستبد به

الشوق إلى الخلاص فسعى إليه من خلال تحول الشامل:

معرفة كاملة ← قدرة مطلقة ← خلاص⁽⁸⁾.

هذه هي القضايا التي عالجها نعيمة في كتاباته و التي تعتبر (القضايا) الوجه الإنساني العام من الفلسفة وتشكل معظم مسائلها التي تعالجها. فبالإستناد إلى مسائل الفلسفة يمكن إذا أن يتبين و يتضح لنا أن نعيمة فيلسوف بالمعنى الصحيح و الدقيق للكلمة .

و لكن لا بد لنا أن نعرف ما هو منهج نعيمة و أسلوبه في الكتابة. " غاية نعيمة هي الخلاص المتمثل بإستعادة الانسان لوحده و حريته عبر معرفة الكاملة"⁽⁹⁾.

المنهج قد تحدد إذا بالغاية عند نعيمة التي يلتزم بها في أبحاثه و كتاباته. فطبيعة الخلاص النعيمي تحدد بالتالي طبيعة منهجه. فالخلاص ليس هدفاً سهلاً المنال حتى و لا سهلاً التحديد. و ليس بسيطاً محموله تاريخ إنسانية بالغ التنوع و التعقيد. و سبيله تركيب غني لعناصر تجربة شاملة. وهذا يفسر تنوع

(7) المرجع نفسه

(1) محمد شفيق شيا، فلسفة ميخائيل نعيمة، (م س ذ) ، ص 350 .

(9) المرجع نفسه، ص 351.

أشكال البحث و الكتابة النعيمية على مدى ستين عاماً. لا يستعمل نعيمة شكلاً واحداً للبحث في مؤلفاته، لا بل يستعمل أحياناً أكثر من شكل واحد في البحث الواحد. منهج البحث و الكتابة عند نعيمة كان يتطور حسب تطور فكره و نضجه و تركيز النظرية في شكلها النهائي⁽¹⁰⁾.

إن كمال فلسفة نعيمة يكمن في الأمرين معا :

1. تماسك المضمون الفكري (الأدبي) و النظرية الفلسفية.

2. قدرته - التي لا مثيل لها - على جعل النظرية مسألة مفهومة، و ضرورية و مرغوبة و ممكنة في

أذهان الناس.

إن نعيمة ليس أول من حمل الشكل الأدبي مضمونا فلسفياً، و ليس أول من توسل الأدب، شكلاً واضحاً في التعبير عن الفكر الفلسفي. و أرسطو كذلك لا يمثل الشكل الفلسفي المطلق الوحيد. إن مياها كثيرة قد جرت تحت الجسور منذ عصر أرسطو، و قد أضيفت للفلسفة مفاهيم و وظائف جديدة⁽¹¹⁾. إن قارئ الفلسفة يعرف ذلك قبل نعيمة هناك الشاعر الفيلسوف "غوته" في "فاوست" و "آلام فارترا" و "نتشيه" "العاصفة" "وكبير كجارذ" "الوجودي" و "جون بول سارتر الوجودي في" الغثيان".

3-القضايا الفلسفية في رواية اليوم الأخير:

3-1-تقديم الأثر:

أ-التقديم المادي:

إعتمدنا الطبعة الحادية عشر الصادرة سنة 1978 عن مؤسسة نوفال هاشيت أنطوان، بيروت لبنان، و يقع الكتاب في 287 صفحة موزعة على أربعة و عشرين فصلاً حسب ساعات اليوم، و يرجع تاريخ صدور الكتاب إلى سنة 1963.

ب-التقديم الأدبي:

كتاب اليوم الأخير قصة في شكل رواية فلسفية ذهنية شحنها الكاتب بجملته من المواقف إزاء قضايا متنوعة، و قد إختار مخائيل نعيمة إطاراً ضيقاً في المكان و الزمان لأن الجانب القصصي ليس إلا إطاراً "لمحتوى الفكرة" فقد دارت كل الأحداث في يوم واحد هو يوم السبت 21 جوان و هو أطول يوم في السنة⁽¹²⁾، إبتداء من منتصف الليل حين يسمع صوت الهاتف يهتف به "قم ودّع اليوم الأخير"⁽¹³⁾ أمّا المكان فيقع بين بيت موسى العسكري في الرّيف، وبين ضيعة المطار ثم بيته من جديد.

(10) محمد شفيق شيا، فلسفة ميخائيل نعيمة، (م س ذ). ص 352.

(11) المرجع نفسه، ص 360،361.

(12) ميخائيل نعيمة "اليوم الأخير"، مؤسسة نوفال هاشيت أنطوان، بيروت، لبنان، 1978، 11، ص 74

وقد وزعت ساعات اليوم على النحو التالي :

- ✓ من الساعة الأولى إلى الساعة الرابعة عشر: بين المنزل و الحديقة المحيطة به.
- ✓ من الساعة الخامسة عشر إلى الساعة الثامنة عشر: بين الضيعة و مركز الشرطة.
- ✓ من الساعة التاسعة عشر إلى الساعة الثانية و العشرين: في المنزل
- ✓ الساعة الثالثة و العشرين: في المطار
- ✓ الساعة الرابعة و العشرين: في المنزل

و يستنتج الملاحظ أن جلّ الوقت قد مرّ في المنزل (ثمانى عشر ساعة في الجملة) ، فكأن موسى العسكري قد إنقطع عن العالم الخارجي، و تفرغ للتأمل و طرح القضايا بعيداً عن المؤثرات الخارجية.

2-3-الشخصيات :

تكاد الشخصيات تنحصر في ثلاثة : موسى العسكري، ابنه هشام و اللامسى، لكن المحرك الوحيد لجل الأحداث هو الشخصيات هو موسى العسكري، البطل الرئيسي للقصة، فهو بمثابة "النواة" أو "المحور" الذي تتجمع من حوله كل مرة مجموعة من الشخصيات الثانوية حسب علاقاته بها و حسب إنتقاله عبر الزّمان و المكان، و موسى العسكري هو أستاذ جامعي في الفلسفة عمره سبع و خمسون سنة، هجرته زوجته "رؤيا الكوكبية" منذ سنة لتعيش في سويسرا مع عشيقها و هو طالب من طلاب موسى العسكري، و بقي البطل في غيابها يعيش مع خادمتها أمّ زيدان وهي عجوز تخدمهم منذ خمس عشر سنة و تشرف على تربية ابنه هشام و هو شاب في الثامنة عشر من عمره لكنه كسيح أبكم، و قد جعل الكاتب منه الشخصية الأساسية الثانية وهو رمز للمعرفة الشاملة "المبصرين العميان" الذي يهدي الضالين من الجهلة⁽¹⁴⁾ خاصة بعد أن عاد إليه النطق و المقدرة على المشي إثر حادث غريب و قد أخذه اللامسى، و اللامسى هذا هو الشخصية الرئيسية الثالثة في الكتاب، و هو نفسه الذي كان قد هتف بموسى العسكري أن "قم ودّع اليوم الأخير"

أما بقية الشخصيات فما هم إلا ممن يرد عرضاً في سياق الأحداث و ليسوا إلا نماذج لأصناف من شخصيات المجتمع و فهم "المختار" "العمدة أو شيخ التراب" و "الحارس" و الأستاذ الجامعي و "التاجر" و "الطالب" و السكان العاديون و الجيران.

و يبدو موسى العسكري - و هو البطل الرئيسي - للقصة كثير الشبه بالكاتب نفسه، فكلاهما خجول، مثال إلى العزلة و الإنفراد شغوف بالمعارف و العلوم و دراسة "التصوف" قلق، متأمل في الطبيعة

(13) المصدر نفسه، ص7.

(14) خرج بن حسين ، الطيب بن عمار، فلسفة ميخائيل نعيمة من خلال "اليوم الأخير" ، (م س ذ)، ص 16

وجمالها، مستسلم منها الشعور بوحدة الوجود و إكمال النظام و روعة الإبداع و قدرة الخالق، و لا يكاد الفرق يظهر إلا ضرورة إعطاء القصة جانب من المثيرة الأدبية التي تحاول أن تطوع العمل القصصي للبحث الفلسفي، فكأن مخائيل نعيمة قد حاك بطله صورة منه ليجسد المبادئ التي يؤمن بها فقارئ "سبعون"⁽¹⁵⁾ سيدرك أوجه التشابه بين الشخصيتين مما يجعلنا نقول إن كتاب "اليوم الأخير" يكاد يكون صورة للأدب الروائي الذاتي الذي يختفي فيه المؤلف وراء شخصية من شخصياته، تعبر عن أفكاره وتحمل رواؤه و تصوراتهِ⁽¹⁶⁾.

3-3-الأحداث:

تنطلق أحداث القصة من بداية الفصل الأول عندما إستفاق الدكتور مرسي العسكري في منتصف الليل على صوت هاتف ينادي به "قم ودع اليوم الأخير" و بقي هذا الصوت المتردد طوال بقية الفصول الخيط المحرك لأحداثه، حيث كان الكاتب يبرز في كل فصل إنعكاسات الساعة على شخصية البطل و ما يحيط به، و هذا ما جعل الكاتب يسمي كتابه "اليوم الأخير".

ذعر موسى العسكري عند إستماعه لصوت الهاتف و بدأت هواجسه و مخاوفه و رهبته من الموت، و في أثناء ذلك يسترجع شريط حياته أمام عينيه فيتأملها و يحللها من جديد متأرجحا بين التعلق بالحياة و إزدراءها، حتى شبه عنده تفاهتها و فراغها و يقدر ضعفه و ضعف معارفه و علومه و يتغير فيه كل شيء و يجدد مفاهيمه و يعيد بناء جديدا لقيمته و علاقاته لكون و الكائنات و يسعى عبر مسالك المعرفة و البحث حتى يفهم النظام و الناس و يتعمق في باطنه و يصل إلى فهم ذاته و نفسه .

و يقص موسى العسكري حياته و يحللها منذ أن تزوج إحدى طالباته في الكلية و هي رؤيا الكوكبية التي أحبته و أحبها رغم أنه أكبر منها بعشرين سنة، و رزقا بعد هذا الحب العنيف إبنا و لكنه كان كسيحًا أبكم منذ ولادته ... و قد هجرته زوجته . منذ سنة و لكن الأحداث تأخذ مجرى آخر فمنذ الساعة السابعة تحدث مفاجأة لهشام فيقدر على النطق و السير إثر سقوطه من كرسيه المتحرك، و تعلمه زوجته في برقية أنها عاندة إليه.⁽¹⁷⁾

فينسى آلام الماضي و يهزه الشوق للقاء إلا أن الأقدار تعود لتلعب لعبة العيب و اليأس من جديد فالإبن قد غاب مع اللامسى حيث لا يعلم موسى العسكري، و الطائرة التي كان من المنتظر أن تحمل روبا قد تحطمت في المطار و احترقت و أصبح ركاها رمادا ...

(15) سبعون كتاب وضعه نعيمة يترجم فيه لنفسه.

(16) خرج حسين، الطيب بن عمار، فلسفة ميخائيل نعيمة، (م س ذ)، ص 17

(17) خرج بن حسين، الطيب بن عمار، فلسفة ميخائيل نعيمة من خلال "اليوم الأخير"، (م س ذ)، ص 18.

غير أن الكاتب لم يختم قصته بالتشاؤم بل قد حوّل مجرى الأحداث متفائلاً من جديد فالطائرة التي تحطمت لم تكن تحمل رؤيا التي أعلمت زوجها فيما بعد بتأجيل السفر و أما إبنة فقد عرف أنه مع اللامسى، و أما هو فقد إطمأنت نفسه وفهم سرّ الوجود و نظام الكون و فتح عينيه في آخر فصل على صورة رائعة هي صورة زورق جميل يمخر عباب نهر عظيم، و يجري ضد مجراه، و قد ركب الزورق ثلاثة :

(1) اللامسى

(2) هشام

(3) موسى العسكري الجديد⁽¹⁸⁾

و يبدو الكاتب في مجمله حلقة مغلقة حيث بدأ في منتصف الليل و إنتهى في منتصف الليل بعد مرور أربع و عشرون ساعة، بل إن القصة إنتهت في الفصل الرابع و العشرين بنفس الجملة التي بدأ بها الفصل الأول تقريبا إذا يمكننا أن نقرأ في الفصل الأول " سمعت الصوت فأفقت من نوم عميق ... " ⁽¹⁹⁾ و نستطيع أن نواصل القراءة دون أن نخلّ بالمعنى و نحن في الفصل الرابع و العشرين = " ... أفقت من النوم الطويل عميقا لأستقبل نهائراً جديداً... " ⁽²⁰⁾

و تبدو لنا الجملتان متكاملتين كأنما الثانية هي تميمة الأولى، و في ذلك معان، عديدة مثل الاستمرارية و الدوام و الإتصال اللانهائي في الزمان عند ميخائيل نعيمة .

3-4- ملخص الرواية:

ثلاثة شخصيات رئيسية تتمحور حولها أحداث (اليوم الأخير)، موسى العسكري، و إبنة هشام و اللامسى، موسى العسكري دكتور في الفلسفة يتخذ من العقل هاديا و مرشدا و دليلا في حياته الفكرية و العلمية، ينكر الرؤى، و لا يعترف بسماع هواتف الغيب، و إن حدثه عنها الثقات علما و تعقلا. لكن صبيحة يومه الأخير. حدث له ما وضعه عن الطريق الشك بثبات الأمور الظاهرية و صحتها فقد ناداه هاتف الليل "قم و دّع يومك الأخير" و لما إستيقظ و إستعاد قواه العقلية توسل قدراته العقلية و حواسه الخارجية أضاء الأنوار لم يصدر أحدا. و باءت محاولات التعرف بصاحب الصوت بالفشل بعدها بدأت رحلة الشك عنده و راح يتساءل عن حقيقة حياته ماضيا و حاضرا و مستقبلا ... أو عن جدوى العلوم التي توسلها الإدراك هذه الأهداف و توالى عليه الهواتف "اللامسى" لتوجهه إلى سبيل إزالة ستائر الحجب و التي تمنع وصوله إلى المعرفة الحقيقية الكاملة و تساقط بعض الأوهام التي شاد سرحها في سنواته السبع و الخمسين الماضية، إنكفى إلى عالمه الداخلي و كانت بداية رحلته المعرفية

⁽¹⁸⁾ ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير، (م س ذ)، ص 287

⁽¹⁹⁾ ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير، (م س ذ)، ص 7.

⁽²⁰⁾ المصدر نفسه، ص 287

الصحية و بعد جهوده مضيئة و معاناة متواصلة و طوال أربعة و عشرون ساعة توزعت بين التساؤل والعرض و التنفيذ والنقض و الرد إهتدى موسى العسكري إلى طريق معرفة نفسه المتمثلة بالإيمان الذي يتوسل القلب و مجموع القوى الباطنية، من بصيرة و حدس و خيال.⁽²¹⁾ و أبقى للعقل وبقية الحواس دورا مساعد لا دورا رئيسيا كما كان يتوهم و أيقن يقينا باطنيا بأن كل ما في العالم المادي من قوى وتحقيقات ظاهرية مسيرة الإنحلال والزوال لأن كل ما يجري في نهر الزمان ينتهي إلى نفق الظلمات و كل ما لا يثبت على حال ما له إلا زوال. و لا خلاص له إلا بالتجديف ضد مجرى النهر الذي هو الزمان، وبلوغ منابع هذا النهر، و تجاوزها إلى حيث لا زمان و لا مكان وصولا إلى الإتحاد بالذات الإلهية التي ليس لوجودها بداية و لا نهاية.

و في هذه البنى تظهر بوضوح التوجهات الباطنية في الأهداف و السلوكيات و الأدوات التي إنتهى إليها موسى العسكري في نهاية يومه الأخير. و ما وصفه الأخير إلا دلالة على آخر يوم من عمر، و أول يوم من حياة، عاشه "موسى" وكان خاضعا في أثنائه للأوهام المادة و تجلياتها الظاهرية.

أما هشام الإبن الكسيح الأبكم، فهو رمز الإيمان المشلول غير الناطق لكنه مؤهل لأن يتخلص من قيود المادة و أغلالها و قد تم له ذلك حين أغرق بالتأمل أمام تلك النسرينة القديمة التي ترمز إلى كلما في الكون. فانكفى إلى الداخلي و تغلب على عجز وعيه، نتيجة عجزه عن الكلام و التعبير بأدوات خارجية. وقد سبق في مراتب المعرفة أباه العاقل وحامل أعلى الشهادات العلمية و ليس من المستبعد أن يكون وجود هشام من العوامل المساعدة التي أسهمت في نشدات الأب "موسى" و يمثل "هشام" مستوى معرفيا متقدما على أبيه⁽²²⁾.

و متأخرا في الوقت ذاته عن اللامسى الذي يمثل في روحه الخفية و في قبضته أسرار الوجود ومفاتيح الخلاص. و الساعي للإرشاد الضالين إلى الطريق القويم المؤدية إلى نجاتهم الحقيقية.

و يشبه دور اللامسى في هذه الرواية، ما يقوم به الحكماء و شيوخ الطرق الصوفية، و معلموا الجمعيات الباطنية و خازنوا أسرارها مع فارق مهم و هو أن اللامسى في رأي مخائيل نعيمة قد أدرك مرحلة الإنعقاد مما أتاح له مرتبة التجسد الإرادي و الملاحظ أن التواصل بين الأب و ابنه لم يكن تاما أو سليما رغم صلة القرى لإنعدام رابط أقوى و أمن لم تكن متوفرة بينهما في البداية، و هي روابط النفس والروح، لذلك كان هشام أقرب إلى اللامسى من أبيه حتى أن الأولين إختلفا معا، و لم يتيسر للأخير أن

(21) خالد ابراهيم يوسف ، من الأدب الفلسفي، دار النهضة العربية بيروت، ط1 ، لبنان، سنة 2012 ، ص 84.

(22) المرجع نفسه، ص 85.

يرى ابنه من جديد، أو يتعرف باللامسى إلا بعد أن خلس من أوهام المادة وقطع أغلال العقل و أدرك مرحلة التغلب و الإنتعاش⁽²³⁾.

4-القضايا المطروحة في الرواية :

سبق أن ذكرنا أن قصة "اليوم الأخير" ليست قصة بالمعنى الأدبي، و لكنها ذات طابع فلسفي ذهني يأخذ شكل التحليل النفسي عبر الساعات و إنعكاساتها على شخصية البطل و علاقاته بغيره و بمحيطه وقد شحنتها الكاتب بجملة من القضايا الهامة مثل المحبة و العدل و الحرية و الجمال و الطبيعة والحضارة و العلوم و المعرفة و العقل و القلب و الإيمان و الله و الإنسان و الحياة و الموت و التناسخ ... و من أهم القضايا التي جاءت في رواية اليوم الأخيرة لميخائيل نعيمة التي تضمنت قضايا فلسفية ولها صلة وطيدة بعنوان الرواية فبالعنوان نفهم ما مضمون هذه الرواية التي تدرج بحق ضمن الأدب الفلسفي التي جمع فيها ميخائيل نعيمة بين الجمال و العقل بمعني الأدب و الفلسفة.

نذكر أهمها مع التفصيل:

1-4-المحبة :

لعل أسمى قيمة من القيم الإنسانية عند ميخائيل نعيمة " المحبة" بمعناها الشاملة النبيلة، التي لا تنقيد بإطار و لا تنحصر في كائن ... " فالمحبة تقرب الإنسان من الإنسان و تشيع الأخوة في العالم بأسرة، و تدعو إلى الوحدة العالمية الرائعة، التي لا تعرف حدودا و لا سدودا، فإذا تألم غصو فيها تألم الجسم كله..."⁽²⁴⁾.

لقد نظر ميخائيل نعيمة إلى المحبة من زوايا مختلفة، فتصورها حبا بمعناه البسيط المتعارف، وهو حب الإنسان لنفسه و لذويه و لأهله، ثم إنتقل بها إلى حب الإنسان لأخيه الإنسان عامة. حب الإنسان للطبيعة و لكل كائناتها، ثم حب الإنسان لله⁽²⁵⁾.

فالإنسان بمعرفة لذاته يعرف الكون و يعرف الله لأنه " لند يجد طريقة إلى الله إذا وجد طريقه لنفسه"⁽²⁶⁾ و هذا ما جعل " اللامسى" في كتاب اليوم الأخيرة ، يكتب إلى موسى العسكري " فأنت متى وجدت نفسك وجدت فيها كل شيء و كل إنسان"⁽²⁷⁾ و لموسى العسكري كثير من مواقف ميخائيل نعيمة

(23) خالد إبراهيم يوسف، من الأدب الفلسفي، (م س ذ) ، ص36

(24) ثريا ملحس، ميخائيل نعيمة، الأدب الصوفي، دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر و التوزيع، حانفي 1986، ط2، مج2،

ص97.

(25) ثريا مجلس، ميخائيل نعيمة، الأدب الصوفي ، (م س ذ)، ص97

(26) ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير ، (م س ذ) ، ص 187

(27) المصدر نفسه، ص253

وآرائه في الحياة، فهو مثلا، يحب الناس جميعا، و يحب زوجته رؤيا الكوكبية رغم أنها هجرته، و يحب ابنه الكسيح هشام ، و يحب الخادمة أم زيدان و يحب الطبيعة أيما حب و لقد صار قلبه "واحة تسقى القريب و الغريب".

ويبدو أن موسى العسكري قد تعلم المحبة منذ صباه من مشهد صراع بين عصفورة و ثعبان أراد ازدراء فراخها "...هل من ينكر أن الثعبان أقوى من العصفور؟ و لكن شهد في صباي حربا بين ثعبان و عصفورة كانت الغلبة فيها للعصفورة و لازال المشهد ماثلا لعيني...فمن أين للعصفورة تلك القوة التي مكنتها من أن تظفر بحياتها و حياة فراخها في حربها مع الثعبان ؟ ألعلمها الأمومة ؟ و أين تكمن تلك المحبة ؟ في العظم ؟ أم في اللحم أم في الدم ؟ و لماذا العظم و اللحم و الدم منفردة أو مجتمعة لا تستطيع القيام بتلك البطولات الخارقة إلا إذا أثارتها عاطفة خارقة؟⁽²⁸⁾

ثم إستنتج موسى العسكري من هذا المشهد و مما قرأ في مطالعته أن حب الحياة هو الذي يعلمنا المحبة، و حب العصفورة لفراخها مثلا، هو مثال للعلاقات القائمة في المحبة بين الآباء و الأبناء في نطاق، الأسرة الضيقة.

ف نجد موسى العسكري يصف حبه لهشام ابنه "أجل" لقد فاض قلبي بالمحبة و أنا أتأمل ولدي وأحاول أن أنفذ إلى ما يدور في قلبه الطاهر "...⁽²⁹⁾ و حب موسى العسكري لإبنه هشام ليس حب الإعجاب بالقول فقط بل حب التضحيات أيضا مهما كانت جسيمة ، "كنت أود لو أعطيه لسانني، و رجلي و النفس الذي في صدري، و كل قطرة من دمي أو أن أخلق من محبتي أجمل الصور لعينين و أعذب الألحان لأذنيه، و أروع الأحلام لفكره و قلبه، بل لو أستطيع أن أجعل من جسدي و روعي درعا تقيه المحن و مخالب الشرور"⁽³⁰⁾.

و لم يكتف موسى العسكري بهذا الحد من المحبة التي يكنها في قلبه لإبنه هشام بل إنه أثر الموت قبل ابنه، لما وقع ابنه من على كرسيه و سقط ثم أغمي عليه بين ذراعيه "...لأُمْتُ أنا لَتُمْتُ أمه، لِيَمُتْ كل حي في الأرض، أما هشام فيجب أن يبقى يجب أن يعيش حتى برجلين كسيحتين و لسان أخرس، كل شيء إلا أن يموت هشام..."⁽³¹⁾ و هذا الحب العميق هو آخر شيء جعل موسى العسكري يتعلق بالحياة، و كل هذه المشاعر الفياضة و التي نجدها عند الآباء و الأمهات هي وليدة المحبة الصادقة.

⁽²⁸⁾ المصدر نفسه، ص 43-44

⁽²⁹⁾مخائيل نعيمة، "اليوم الاخير، (م س د)، ص 82

⁽³⁰⁾ المصدر نفسه، ص 80

⁽³¹⁾المصدر نفسه، ص 82

أما حب موسى العسكري لزوجته رؤيا الكوكبية، فهو حب مثني عميق لم يؤثر فيه حتى هجرانها وفراقها له إذ إنتقلت صحبت طالب من طلابه إلى سويسرا مند سنة، و ما كادت ترأسله بعد هذا الغياب حتى عاد به الخيال إلى الماضي البعيد، وتذكره أول لقاءه بها و تصوير المشهد الذي عاش مع زوجته رؤيا الكوكبية .

4-2- الإنسان:

الإنسان جوهر الوجود، و لذلك أمن ميخائيل نعيمة به و خلع عليه من قداسة المنزلة ما جعله محور الكون و المعرفة الحق. و لكن هذا الإنسان ظل مجاملا الحياة، فهو "إمبراطورية في إمبراطورية" *une empire dans un empire* على حد تعبير "سينوزا" و هو كما يراه موسى العسكري: "جيب هائل ضمن جيوب ضمنها جيوب و جيوب، و في كل جيب كثر يفضي إلى كثر، و سر عظيم يقود إلى سر أعظم"⁽³²⁾ و هو كاللؤلؤة " في المحارة... طبقة فوق طبقة، و في النهاية في المحور ذرة تكلا لا تبصر و في تلك الذرة اللؤلؤة كلها"⁽³³⁾

و من هنا تطرح فكرة "الإنسان" على أنه موضوع معرفي في المقام الأول لكل من أراد البحث في طبيعة الوجود و نواميس، ذلك أن معرفة الإنسان لنفسه تفضي حتما إلى المعرفة الكبرى التي هي الله و- تلك غاية خلقه- فهو "لن يجد طريقة إلى الله إلا إذا وجد طريقة إلى نفسه، الإنسان طريق الإنسان إلى الله و الإنسان طريق الإنسان إلى الإنسان". أمن موسى العسكري بهذه الحقيقة و رأى أن المعارف البشرية و ما إبتدعه من وسائل و أدوات بحث غير قادرة على الإحاطة بالإنسان و الكشف عن حقيقته، فالمعرفة تجربة ذاتية صرفة تستبطن فيها النفس خفاياها و أسرارها كيانها و هذه التجربة إنتهت بموسى العسكري إلى إقرار أن في الإنسان جوهر و عرضا يبدو أن في هذا الإلف السوي بين الجسم و الروح، العنصرين اللذين يتنازعان الإنسان، فيعطيان خلقا عجيبا.⁽³⁴⁾ و الإنسان في "اليوم الأخير" صورة مصغرة للعالم تتجسد في كل ثنائيات، و تمثل فيه نواميس نظامه و إحكام علاقات موجودته و لذلك كان الإنسان دليلا للكون، فلا غزو إذن أن يكون هذا الكائن: العالم الأصغر MICROsome منطلقا لمعرفة الكون العالم الأكبر MACROsome لما بينهما من عناصر التشابه و التآلف .

و في الإنسان قوي أمن بميخائيل نعيمة وجسدها في كتابه، لعل أهمها: الفكر، هذه القوة القدسية التي لا تعرف حدودا أو سدودا، تأخذ الإنسان على أجنحة الخيال، بعيدا عن عالم المادة الضيف بقيوده

⁽³²⁾ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير"، (م س ذ)، ص42

⁽³³⁾المصدر نفسه، ص42

⁽³⁴⁾المصدر نفسه، ص187

و همومه، فإذا به يطير في الجو بسرعة تفوق سرعة الصوت" (35) و يشق طريقة إلى " كواكب الأرض" (36) و يسمع الأصوات" من جميع أطراف الأرض، و من الفضاء الأوسع الذي تبدو فيه الأرض نقطة في بحر" (37) و يبصر كائنات هي من الدقة بحيث يتعذر على عينه المجردة أن تراها. و هذا الفكر لا يعرف نهاية و لا حدا في يده الأمر و النهي و له السلطان و الجبروت فما على الإنسان إلا "أن ينمو بنموه و يتعلق به و يهمل ما عداه" (38) و إذن فجوهر الإنسان أيضا في هذا الفكر الذي هو أداة معرفة نفسه بنفسه.

3-4- جدل العلاقة بين الحياة و الموت:

إحتار الإنسان منذ القدم في تحديد مفهوم الحياة و مفهوم نقيضها الموت مع أن الحياة و الموت من أقل ما فكر فيه الإنسان. و قد حاول قدماء الفلاسفة إيجاد تفسيرات مختلفة لذلك. و لم يتوصلوا إلى إدراك شامل لهذين المفهومين و لم يجد الناس تفسيراً لهذا إلا في الكتب السماوية و بما أنزل على الأنبياء تنزيلاً دينياً لا مجال فيه للنقاش و الجدل و ما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه و سلم خاتم الانبياء و الرسل قال تعالى: « إن الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما في الأرحام و ما تدري نفس ماذا تكسب غدا و ما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير » (39).

أما ميخائيل نعيمة فقد حاول أن يبحث في سعيه إلى المعرفة عن قضية الحياة و الموت و أحس أن سعيه ذلك قد أضناه فقال على لسان موسى العسكري « أ يكون أن الحياة هي الموت و الموت هو الحياة ؟ » (40). « تلك هي الأحجية يا دكتور التي ما أظن عقلك بقادر على حلها، إنه يصير على مد خط فارق بين الحياة و الموت » (41).

و تكاد هذه المعضلة تكون الخيط الرئيسي لإنطلاق أحداث كتاب «اليوم الأخير» ففكرة الموت هي منطلق الأحداث و التفكير و التأمل إذ أن ميخائيل نعيمة يبدأ كتابه مباشرة بهذه الجملة « قم و دَع اليوم الأخير» و يفيق بطل القصة بعد هذين الفعلين « قم » « و دَع » و ينطلق من الخوف و الحيرة إلى البحث في متاهات الحياة و الموت، و يبدو موسى العسكري شديد التعلق بالحياة لما سمع صوت الهاتف الغريب في منتصف الليل «قم و دَع اليوم الأخير». و ما كان خوفه من الموت إلا أن يباغته هذا الأجل و ما تزال له حوائج عديدة لم يفضيها، فهو يفكر في مشاكل زوجته الغائبة و ابنه الكسيح و دفع ما عليه من

(35) ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير"، (م س ذ)، ص 46

(36) المصدر نفسه، ص 46

(37) المصدر نفسه، ص 46

(38) المصدر نفسه، ص 47

(39) سورة لقمان - الآية 3

(40) ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير"، (م س ذ)، ص 39

(41) المصدر نفسه، ص 7.

الديون المخلدة بدمته من ثمن البيت و السيارة، و علاقاته في الجامعة، و أحس أن يوما واحدا لا يكفيهِ : «لا – لا – لا هذا غير معقول لن يكفيني يوم واحد لتصفية الحساب ،لا بد من زيادة، لا بد من أيام بعد، بل من شهور بل من سنين»⁽⁴²⁾.

و لكن « كل ما يتمنى المرء يدركه » فإن الموت لن يمهل موسى العسكري و لن يستجيب لرغباته المادية أو الروحية و لن يستمع إلى صراخه و إبتهالاته. و يبقى موسى العسكري متأرجحا بين التعلق بالحياة. و الأمل و بين الزهد فيها و اليأس منها، فلا هو يتعلق « بالملكية » و لا هو يعطي « للكنز » بل يهبه لأبي فرحات كاملا حتى لا يبقى مشدودا إلى الدنيا من روابطها المادية. بل إن موسى العسكري يزهد حتى في كل مكان يشغل باله من أمر الجامعة و زوجته رؤيا الكوكبية و ابنه هشام "فها أن أفكر في الجامعة وكأنني أفكر في حفنة من الرمل على شاطئ البحر...ثم ها أنا يهجرني ولدي و وحيدى فلا أشعر أن الحياة قد هجرتي...و كنت قبل ساعات أسهر الليالي أفكر في هشام...و عندما هجرتي زوجتي تمنيت أن تنشق الأرض و تبتلعني...و ها أنا في هذه الساعة لو قيل لي إن رؤيا الكوكبية عادت إلى عشيقها و عدلت عن العودة إلي لما أنقبض قلبي...ثم ها أنا أفكر في الموت فلا أرتجف خوفا من الموت»⁽⁴³⁾.

وظل موسى العسكري على هذا النحو، و كان هذا الصراع الأزلي بين محبة الحياة و حتمية الموت قد حير باله و لم يجد مخرجا لهذه الثنائية المخرجة إلا الإستسلام إلى حتمية الموت.

و قد سادت فكرة "التناسخ" هذه بمظاهرها شتى في كتابات نعيمة، فهو يرى أنه لا بداية للحياة و لا نهاية، لأن دروبها دروب تجدد و البقاء لا دروب تلاش و فناء⁽⁴⁴⁾ و ليس هذا الموقف من مواقف ميخائيل نعيمة غريبا فهو قد تأثر بمطالعاته في فلسفات الشرقية القديمة و قد أعجب بتعبير "بوذا" عن الوصول إلى "حقيقة الحياة المؤدية إلى الراحة الأبدية و قد سماها "الرفانا" و هي بمثابة "الجنة" عند البوذيين كما أن ميخائيل نعيمة قد تأثر بالمذهب الشيوصوفي الذي يؤمن بالتقمص القائل بأن الإنسان الميت يولد من جديد في جسد جديد حسب أعماله و ميوله.

وهذا المبدأ هو الذي جعل هشام -هو رمز المعرفة - يجيب والده موسى العسكري بكل هدوء لما سأله هل يخشى الموت "ما أظن ما دام أنني في ذمة الزمان و سأبقى في ذمة الزمان..."⁽⁴⁵⁾ و هذا الموقف نفسه،

⁽⁴²⁾المصدر نفسه، ص 16

⁽⁴³⁾ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير، (م س ذ)، ص 274.

⁽⁴⁴⁾ميخائيل نعيمة، دروب، مؤسسة نوفل، ط9، 1990، ص12

⁽⁴⁵⁾ ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير"، (م س ذ)، ص164

توصل إليه موسى العسكري ذاته بعد أن أزهّد في الدنيا و عافها "ثم ها أنا أفكر في الموت فلا أرتجف خوفا من الموت كما فعلت عندما سمعت الهاتف في نصف الليل".⁽⁴⁶⁾

و ما أشبه موسى العسكري حين يقول "فأنا الزمان و الزمان أنا، فلا هو يفنيني ولا أنا أفنيه"⁽⁴⁷⁾ بالحلاج حيث ينادي "أنا الله و الله أنا" نحن روحان حللنا بدنا.

4-4-العدل:

من المتناقضات التي شغلت موسى العسكري في تأمله لأحوال الكائنات ثنائية العدل و الظلم فقد عاين أشكال الظلم في مستويات ثلاثة: في بيئته، و بين الأجوار، و بين الناس عموما و عجز بدء عن إدراك حقيقة الظلم، فتساءل هل الظلم ظاهرة تنطوي على العدل أم صورة للعدل نفسه ؟ و يذهب به الوهم أحيانا، فيردّه إلى الطبيعة العابثة "كما يعبث الأطفال و الجهال و السكارى، فيكون من عبثها مخلوق كهشام"⁽⁴⁸⁾ الذي يولد كسيحا، معقود اللسان، كبيرة الرأس، متهدل الساقين، حتى لك أن التشويه الذي أصابه مقصود في ذاته و يكون من عبث الطبيعة، "المختار" الذي ولد له صبي و حيد بعد سبع بنات فيموت رغم حرص أبيه عليه، و الأعمى الذي يولد على عماء، و لا ذنب إقترفه فيحرم من بصره.

يتأمل موسى العسكري أشكال الظلم في الحياة فنتهى إلى اعتبار أن الظلم ليس إلا أحد نواميس النظام الذي لا يمكن أن يكون عادلا، فالعدل لا يكون إلا بإقرار مبدأ العقاب و الجزاء و بالتالي فالظلم كضرب من العقاب هو النتيجة الفعلية للعدل، و نكبة موسى العسكري في إبنه يمكن أن تدرك على هذا النحو حين يتساءل "ألعله جاء مشوها ليكون قصاصا لي و الأمة و لنفسه، أم ليكون امتحانا لنا جميعا ؟ قد تكون ذنوبي و ذنوب أمه أكثر من رمل البحر عددا"⁽⁴⁹⁾.

و القصاص العدل يظهر في المختار نفسه، فما غرق إبن في البئر إلا لأنه على حد تعبير "أم زيدان" ... وحش من البشر، يكره البنات كرهه للموت، فلو أن بناته السبع غرقتن في البئر دفعة واحدة أو لو أن الطاعون جرفهن في دقيقة واحدة لما إبتل له جفن، و كرهه للبنات جعله يكره زوجته التي جاءت بسبع بنات على التوالي، لقد ذاقت المسكينة من الأمرين كان يجرش الملح على ظهرها، و حاول أكثر من مرة أن يخنقها فكان الجيران ينقذونها من بين يديه.⁽⁵⁰⁾

⁽⁴⁶⁾ ميخائيل نعيمة، "اليوم الأخير" (م س ذ)، ص 174-175

⁽⁴⁷⁾ المصدر نفسه، ص 27.

⁽⁴⁸⁾ المصدر نفسه، ص 71

⁽⁴⁹⁾ ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير"، (م س ذ)، ص 24.

⁽⁵⁰⁾ المصدر نفسه، ص 143-144

مأساة الإنسان في ظلمه لنفسه، و ثوابه و عقابه حصيلتا فعله، فالظلم إختيار غير واع من الإنسان، غير أنه متى أنفتح قلبه على حقائق نفسه و حقائق الكون و أدرك أن الظلم تجاوز لنظام أمن شر القصاص. فالإنسان يلقي القصاص بما إستحقه بسبب خطيئة آتاه، لذلك فالناس "يشمتون بسارق إذا تلقفه السجن، و قاتل إذا هو تدلى من المشنقة، و متبجح بغناه إذا هو أفلس، و متباه بقوة عضلاته إذا هو لقي من يلقيه التراب أو ليس معنى ذلك أن الناس يعترفون بوجود نظام إذا تعداه أحدهم جلب لنفسه المتاعب والأوجاع؟ إنه إعتراف بصدق الحكمة القديمة القائلة « إن الأنسان لا يحصد غير الذي يزرع »⁽⁵¹⁾.

و لكن أي عدل يقضي أن يولد الإنسان أعى مثلاً، و لا ذنب إقترفه في حياته الحاضرة ؟ هنا يهتدي موسى العسكري إلى الحل، فيعلل ظاهرة الظلم بمبدأ التناسخ فالعسى « كغيره من العاهات والمصائب، لا يمكن أن يكون غير نتيجة لتجاوز النظام الذي يقضي على كل إنسان أن يحصد ما يزرع »⁽⁵²⁾ و الرجل الأعى إنما « أخطأ قبل ان كان جنينا في بطن أمه ، أي أنه عاش و مات ثم عاد فولد ، و أنه تجاوز تجاوزا استحق من أجله أن يعيش حياته الجديدة مكفوف البصر »⁽⁵³⁾ و هكذا يخلص موسى العسكري إلى النتيجة التالية أن ما يتبدى لنا ظلماً إنما هو قصاص لذنب يأتيه في حياته الحاضرة أو حياته الماضية.

و مظهر الظلم خير ضابط لسلوك الإنسان، يحد من غيّه في الأرض بسيء التعامل مع الكائنات الأخرى حتى و إن كان مع أضعفها و أصغرها .

و في هذا الإطار يجعل نعيمة «هشام» يحجم (يمتنع) عن أكل اللحم حتى لا يهتك بالعلاقات القائمة بينه و بين الموجودات الحية المستضعفة و يجعل الحسون كذلك يستفيد من الصيد المتعالي المتجبر، فيعرف موته بشعة جزاء قتله الطائر، و لأنه لم يدرك حقيقة النظام و طبيعة علاقاته بالآخرين. من العيب إذن أن نبحث عن العدل في غير النظام، أو أن نتوق ظلم العدل بمجرد الدعاء لله أمراً و نهياً و ضراعة، «إنما ينال كل مخلوق ما يستحقه من خير و شر لا أكثر و لا أقل، و يناله من غير أن يتوسط له أحد ما ينال و ما لا ينال»⁽⁵⁴⁾.

⁽⁵¹⁾ المصدر نفسه، ص 151 – 152

⁽⁵²⁾ ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير"، (م س ذ)، ص 153

⁽⁵³⁾ المصدر نفسه، ص 153

⁽⁵⁴⁾ المصدر نفسه، ص 113

4-5-المعرفة:

لعل الإنهيار بالطبيعة والإعجاب بجمالها والسعي إلى إستقصاء أسرارها ومكوناتها، كل ذلك، كان باعثا على حب المعرفة في ساعات الوحدة و الإفراد عند ميخائيل نعيمة، بل إن شغفه إلى المعرفة هو الذي دفعه إلى كثير من أنواع المطالعات كما يذكر في كتاب "سبعون" فتساءل عند وجوده بكل ما فيه من أنواع لا تحصى و لا تستقر على حال⁽⁵⁵⁾. وهذا التفوق إلى معرفة و الحيرة المستمرة قد لازما موسى العسكري في «يوم الأخير» و قد مر في مواقفه بوجوه متعددة للمعرفة إنطلاقا من معارف البشر على إختلاف مواضيعها و أبعاد أقدارها إلى المعارف المثالية التي يصبو إليها بعد أن أحس أن المعرفة البشرية لم تشبع من وثوقه إلى الإدراك الشامل.

و ينطلق موسى العسكري في تحديده لمفاهيم المعرفة من بداية الفصل الأول حيث أثار قضية النسبة فيما هو متعارف بين الناس و بين أن مفهوم «اليوم» أو «الزمن» ما هو إلا عرف جار نبينا ، يخضع إلى النسبة و يتغير حسب الإطار الذي نحن فيه و يحلل في نظرة الصوفية وحدة الزمن قائلا : «...ولكن ماهي الساعة؟، ماهي الدقيقة؟، ماهي الثانية؟ إنها ساعة و دقيقة و ثانية في عرف الآلة الصغيرة التي هي على معصبي، أما في عرف الزمان فهي الزمان كله»⁽⁵⁶⁾.

و على هذا الأساس يبدو لموسى العسكري أن معارف البشر و علومهم و آدابهم و فلسفاتهم لا قيمة لها، لأنها حتى و إن تقدمت بالإنسان ماديا فهي لم تمكنه من فهم نفسه و من السيطرة على الطبيعة، و لا خير في هذه العلوم « ما دامت » جميع الأضاليل و الأوهام و الترهات و المخاوف. و البشاعات ... قسوة حياة الإنسان على الأرض»⁽⁵⁷⁾.

لا شك في أن العلوم فتحت أمام الإنسان مجالات من التقدم و الرقي الحضاري و لكن هذه العلوم ضلّت ضعيفة أمام القضاء و القدر. و أمام الموت، و لا خير في هذا النوع من المعرفة لأنه "مالم يسيطر الإنسان على الإنسان -على جسده و فكره و قلبه- فلن يسيطر على الطبيعة"⁽⁵⁸⁾، حتى يتصرف بحياته تصرف السيد المطلق بملكه، و على هذا الأساس، يرى موسى العسكري أن "تلك المعرفة - معرفة الإنسان لنفسه) - لن تأتيه من المدرسة و لا من المعبد بل تأتيه من نفسه، و لقد أدركها أناس لم يدخلوا

(55) ميخائيل نعيمة، سبعون حكاية، حكاية عمر، دار صادر و دار بيروت للطباعة و النشر، 1959، 1960، دج ، ج 1 ،

ص 34

(56) ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير" ، (م س ذ) ، ص 27.

(57) المصدر نفسه، ص 106 – 107

(58) ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير" ، (م س ذ) ، ص 183

في حياتهم مدرسة أو معبداً⁽⁵⁹⁾ و من تم يتضح لموسى العسكري أن العلوم البشرية مهما بلغت ماهي إلا قيود تكبلنا و تمنعنا من الخلاص و الإنعتاق .

و ها هو موسى العسكري في حوار مع ابنه هشام يعلن شكه في كل ما تلقاه من علوم. "فلما أدراك أن الخلاص و الإنعتاق الذي يرجوه ابنه على يد اللامسى من ليس في غنى عن جميع ما ذكرت و ما لم تذكر من مقومات المدنية بل ما أدراك أن هذه الأمور كلها ليست أغلال لعنقك، و قيوداً ليديك، و أصفاداً لرجليك، و دياجير في فكرك، و قلبك"⁽⁶⁰⁾ و إستبد هذا الشك بموسى العسكري لأنه رأى أن العلوم البشرية لم تجب عن كثير من حيرته و أن لهذه العلوم أن تشبع نهمه و تروي ظمأه إلى المعرفة الشاملة "و لو أن ما نهلته كان ينطفئ عطشا لأطفأت عطشي"⁽⁶¹⁾، و كل هذه العلوم لا تستمد جوهرها إلا من الحواس و العقل.

و ما أعجز الحواس و العقل في كثير من الأحيان، و أمام كثير من الأسئلة المحيرة، فالوسائل الأولى للمعرفة وهي الحواس تبدو لموسى العسكري "بليدة" لأنها مكبلة "بالعادة".

فهي إذن محدودة المدى "تبث الحواس البليدة، فهي تألف الأشياء من يوم ليوم، و من عام لعام، فبدولها و كأنها لم يطرأ عليها أي تغيير أو تعديل، في حين أنها تتغير و تتبدل في كل رقة جفن"⁽⁶²⁾. و لنفرض أن الحواس أمكنها أن تتغير هي أيضاً و تتبدل و تتعدل لتواكب المعارف التي تتلقاها من الكون، فإنها تظل رغم ذلك قاصرة، عاجزة عن الإلمام بكل مكونات الوجود اذا لسمع و البصر غير قادرين على تجاوز مدى معين من الإدراك و الغوص حتى اللانهاية في هذه الطبيعة الرحبة و هذا الكون الشاسع الذي لن تقدر أي أذن و لا عين على الإلمام بكل ما فيه " و كيف لي أن أسمع و أفهم زحف الجذور في ظلمات التراب و ديبب النسغ في الجذوع و اللحاء و الغصون..."⁽⁶³⁾، أم ماذا يجري الآن فيما تحت الغلالة من شجر و مبان و وهاد و تلال و جبال و بحور و أنهار، فعين لا تبصر شيئاً منه "⁽⁶⁴⁾.

و أمام عجز الحواس يلتجئ موسى العسكري إلى الخيال: "إلا أني أنجد عيني بخيالي"⁽⁶⁵⁾ و لكن ما جدوى معارف الخيال مادامت إلا زيفاً من المعارف؟

⁽⁵⁹⁾ المصدر نفسه، ص 184

⁽⁶⁰⁾ المصدر نفسه، ص 198

⁽⁶¹⁾ المصدر نفسه، ص 55

⁽⁶²⁾ ميخائيل نعيمة، "اليوم الاخير"، (م س ذ)، ص 62

⁽⁶³⁾ المصدر نفسه، ص 50

⁽⁶⁴⁾ المصدر نفسه، ص 51

⁽⁶⁵⁾ المصدر نفسه، ص 51

و يتجه موسى العسكري إلى العقل لعله يجد فيه الوسيلة المثلى للوصول إلى المعرفة فيرى أن العقل بدوره عاجز عن حل كثير من التساؤلات و الأحاجي مثل أحجية الموت " ...تلك هي الأحجية يا دكتور و ما أظن أن عقلك بقادر على حلها"⁽⁶⁶⁾.

و يحس موسى العسكري بتمزق بين اللهفة إلى المعرفة و بين العجز عن الوصول "أجل أي أريد ان أعرف"⁽⁶⁷⁾ و لا غرو أن يحس الإنسان بعجز العقل عم إدراك بعض أسرار الحياة و نواميس الكون و ما ورائيات الوجود، إذ المعارف العقل كلها تخضع إلى النسبة و إلى القيود المتفرقة كالهيوولي و الزمن و الذات ... و غيرها من القياسات و الأبعاد، أما ما خرج عنها فلا طاقة للعقل البشري على إدراكه و يحس موسى العسكري بهزيمة عقله و حواسه و خياله معا حين يسمع الصباح الجديد و يخاطبه قائلا: " فمن أين لأذنك أن تسمع كل ما يقوله هذا الصباح و لفكرك أن يعي كل ما يسوقه في ركابه من عجائب، ولعين خيالك أن تبصر جميع الكائنات التي أطلت على الأرض لأول مرة أو لأخر مرة مع إطلالته"⁽⁶⁸⁾ و لئن أحس موسى العسكري بهزيمة الحواس و الخيال و العقل فإنه لم ينهزم أمام الشوق إلى المعرفة، و كما سبق فموسى العسكري شبيه بكثير من الشخصيات نعيمة الأخرى، بل إنه أشبه بنعيمة نفسه " و كم مرة سأل نفسه عما تريد، و كم مرة إنحنى على ذاته يقابسه تقابسه ثم تجيبه " أريد ان اعرف " و إن سألتها ماذا تريد ان تعرف، قالت " كل شيء" و إن سألتها لماذا تريد المعرفة، أجابته: " لأني أريد أن أتححر من كل شيء" و يتابع سؤاله: " ألا تكون حرية بغير معرفة " فتجيبه: " بل تكون عبودية"⁽⁶⁹⁾.

⁽⁶⁶⁾المصدر نفسه ، ص 39

⁽⁶⁷⁾مخائيل نعيمة، "اليوم الاخير" ، (م س ذ) ، ص 115

⁽⁶⁸⁾ المصدر نفسه ، ص 64.

⁽⁶⁹⁾ ثريا ملحس، نعيمة الأديب الصوفي، دار صادر و دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت، 1964، ص 105، أنظر: مخائيل نعيمة، مذكرات الأرقش، مطبعة المنال: بيروت 1949، ص 130.

و أمام هذه المعضلة، معضلة العجز و المجاهدة في سبيل التحرر تبدو قيمة الإنسان بالمعنى الأسمى "للإنسانية" فهو كائن ضعيف، لكنه بفضل ما أوتي من صبر و جهاد و سعي مستمر بشتى الوسائل يدأب تواقاً إلى بلوغ الدرجات الفضلى، و ذلك من أوكذ مهام الإنسان في رسالة على الأرض، و في ذلك التأرجح بين الحقارة و العظمة تكمن لذة البحث و الكفاح. و لقد قال باسكال: " إن الإنسان ليس إلا قسبة، من أضعف كائنات الطبيعة، و لكنه قسبة مفكرة "

هكذا يبقى الانسان تواقاً الى المعرفة ، و العلم بكل ما يحيط به ساعياً و منقبا حتى يصل الى معرفة ما يجري من حوله و مقدماً لأجوبة تقنعه و لا جدال فيها ،

خاتمة:

في ضوء ما سبق بيانه، خلصنا إلى النتائج التالية:

- 1-العلاقة التي تجمع الأدب بالفلسفة موجودة منذ القدم و لا زال البحث فيها متواصلاً، لذا لا يمكننا أن نقول أن الأدب منفصل عن الفلسفة لأن الأدب هو الذي طور الفلسفة فقد اتخذ الفلاسفة الأجناس الأدبية شكلاً من أشكال التعبير للإفصاح عن أفكارهم .
- 2-الأدب و الفلسفة حدان ، إذا ، من حدود الأدب الفلسفي ، يجري توظيفهما معا بطريقة جدلية، أما خارج هذا الترابط فهما لا يقدمان في إطار موضوعنا إلا القليل .
- 3- ظهر الأدب الفلسفي عند الغرب كما ظهر أيضا عند العرب من خلال أعمال الأدباء و الفلاسفة العرب و الغرب و هذا ما تطرقنا إليه في تجليات الأدب الفلسفي عند العرب و الغرب .
- 4-إن الأدب الفلسفي سمة لنوع من الأدب و ليس جنساً أدبياً جديداً و لقد كانت تلك السمة في الأعمال التي عرضناها ، أعمال جان بول سارتر ، غوته و ابن طفيل و نجيب محفوظ و ميخائيل نعيمة ، فهذه النماذج امتلكت في أعمالها خصائص الأدب الفلسفي .
- 5--الأدب الفلسفي يقوم ، في الحقيقة في تركيبه الجدلي البالغ العمق و الدلالة بين البعد الفلسفي و الطابع الجمالي .

6-إن الخلاص عند نعيمة لا يكون ولا يتحقق إلا بثلاث : وحدة الذات مع الذات ، وحدة الذات مع الله، وحدة الذات مع العالم ، فإنه متى عرفت نفسك و تعرفت على العالم و متى لجأ الإنسان إلى الله واتحدت ذاته يتحقق له الخلاص .

7-تعدّ رواية اليوم الأخير أكثر من رواية عادية، فقد حملت هذه الرواية في طياتها كل عناصر الشكل من وحدة الحدث ، و الزمان و المكان ، و السرد و التشويق و تعارض الشخصيات ، فقد كانت تروي في مفاهيم نعيمة أزمة كل الناس ، و ترسم رمزا ، طريق الخلاص .

8-إن هذه الرواية جمعت بين الفنية الجمالية و الفلسفية فاستحقت أن تكون أدبا فلسفيا ، فقد اهتم نعيمة في كتابه هذا بالكثير من القضايا الفلسفية من محبة و معرفة عدل و حياة و موت و تناسخ .

9-إن كتاب اليوم الأخير خطوة أخرى بعد كتابه(كتاب مرداد) تجسدت فيها أفكار نعيمة الملتزمة منذ البدء بهمّ الإنسان و خلاصه ، و قد رغبت أن تتحول إلى وقائع و أن تهدي الناس إلى أكثر من طريق . فهي تسهم تبنيها لقضية نعيمة ، مع باقي أعماله ، في جعل الخلاص قضية نعيمة الدائمة مسألة مفهومة بل و ممكنة .

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم،رواية ورش عن نافع.

المصدر:

1- ميخائيل نعيمة ،اليوم الأخير، مؤسسة نوفل هاشيت أنطوان، بيروت،لبنان،ط11-1978م.

المراجع:

- 2- أرسطو-فن الشعر ، ثر شكري عياد ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر،ط1. 1967م .
- 3- ثريا ملحس، ميخائيل نعيمة، الأديب الصوفي،دار الكتاب اللبناني للطباعة و النشر ،ط2، 1986.
- 4- جوزيف بوخذ سكي ، مدخل إلى الفكر الفلسفي،تر: و تح: محمود حمدي زقروف، دار الفكر العربي،القاهرة،مصر،د.ط، 1996.
- 5- خالد ابراهيم يوسف ، من الأدب الفلسفي، دار النهضة العربية بيروت، ط1، سنة 2012.
- 6- فرج بن حسين ، الطيب بن عمار، فلسفة ميخائيل نعيمة من خلال "اليوم الأخير"،الدار التونسية للنشر،ط1984،1م.
- 7- عليان احمد محمد، جدلية العلاقة بين الفلسفة و الأدب،دار المنهل اللبناني،د.ط، 2000 م.
- 8- محمد شفيق شيا، في الأدب الفلسفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، ط1، 2009م.
- 9- محمد شفيق شيا، فلسفة ميخائيل نعيمة، مؤسسة بحسون للنشر،بيروت،ط1987،1م.
- 10- ميخائيل نعيمة، سبعون (حكاية عمر)، دار صادر و دار بيروت للطباعة و النشر،د.ط، 1959م.
- 11- ميخائيل نعيمة ، دروب ، مؤسسة نوفل،بيروت، ط9، 1990م.
- 12- مذكرات الأرقش، مطبعة المنال، بيروت ،د.ط،1949م..